العنـف الأسري وأثره على الناحية النفسية والاجتماعية للمـرأة المعنفة

ملخص

من خلال تعرضنا للعنف الأسري وآثاره المحبطة لنفسية الزوجة المعنفة؛ ينبغي التأكيد على ضرورة التصدي لهذه الظاهرة وذلك لأن: العنف ليس إلا آلة تدمير وهدم لقدرات وطاقات الزوجة المعطاءة التي لم يتح لها فرصة إظهار قدراتها ونموها وإعطاء ثمارها، ومن ثم تعطيل متطلبات التنمية الاجتماعية و الاقتصادية للمجتمع، بالتالي تدهور الوضع الاقتصادي للأسرة وللمجتمع معا؛ ويعتبر حكما على تخلف المجتمع؛ وذلك لأن تقدم المجتمع نابع من سلامة وتقدم نسائه روحا وفكرا، وكلما تحررت الزوجة من الضغوط النفسية والاجتماعية المفروضة عليها؛ كلما سار المجتمع نحو التقدم والازدهار، والمجتمع يستمد قوته من قوة نسائه، والقوة الفائقة للمرأة تؤثر في التقدم الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع...الخ.

د. قرمية سحنون م/ بن عقون

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة قسنطينة -2- عبد الحميد مهري
الجزائر

Résumé

La violence conjugale est problème de santé publique qui nécessite l'intervention de plusieurs institutions publiques, ainsi que des acteurs sociaux qui peuvent contribuer au renforcement de l'application de la loi contre la violence conjugale et faire avancer les choses en matière de droits des femmes victimes de cette violence.

Il est donc nécessaire de combattre ce phénomène, car cette violence n'est qu'un instrument de destruction des capacités et du potentiel des femmes, et qui peut avoir des conséquences négatives sur le bien-être de la famille et sur le développement de la société.

مقدمة

إن العنف أرضعناه ونحن في بطون أمهاتنا، وكأنه كروموزومات أو جينات وراثية توجد في الصبغيات نتوارثه جيلا بعد جيل كما نتوارث الجوانب البيولوجية الوراثية من شخصية الفرد، وأول ما تبدأ بذور العنف، تبدأ من الأسرة؛ ولقد امتدت جذوره على مستوى القارات الخمس الموجودة في العالم؛ بل إن العنف قد أصبح ظاهرة عالمية،لم يسلم منه أي مجتمع من هذه الظاهرة الغريبة عن مجتمعنا، ويتسم القرن العشرين بظاهرة العنف خصوصا بعد انتشار الفضائيات والانترنيت؛ إذ لا تكاد تخلو منه أي مؤسسة من مؤسسات المجتمع ولا أي ثقافة ولا أي منطقة من هذه الظاهرة؛ ولا شك أن هذه

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2015.

الظاهرة لها انعكاساتها المجتمعية والبيئية، فهي لا تهدد الأسرة فحسب؛ ولكنها تهدد أيضا المنجزات الإنسانية والمادية والاجتماعية والوجود الإنساني بأسره.

إشكالية الدراسة:

العنف الأسري؛ هو كل استخدام للعنف من طرف الزوج نظرا لتفوقه الجسماني و لما له من قوة بدنية تفوق بكثير القوة البدنية للزوجة استخداما غير مشروع، أو هو القوة المادية والعمل بالخشونة لإلحاق الأذى وإحداث الضرر للزوجة، أو أنه فعل مقصود يرتكب بأي وسيلة من الضرب والقهر والدفع والصفع والخدش وشد الشعر، أو استخدام الآلات الحادة أو الأجسام الصلبة ضد الزوجة لا لشيء إلا لكونها الكائن الأضعف في سلسلة بناء القوة داخل العلاقات الحميمية، امرأة ضعيفة يستطيع أن يلحق بها الأذى والضرر بكل سهولة ويسر، والأذى هو: كل إساءة معاملة، أو هو كل فعل أو قول أو همس أو إشارة أو حركة أو صمت أو إهمال أو إهانة لكرامتها الإنسانية أو إنقاص من إمكاناتها الجسدية أو قدراتها الذهنية أو تهديدا على وجه الخصوص، سواء كان عنفا ماديا أو معنويا أو نفسيا، وما ينتج عنه من إصابة أو ضرر جسماني بالزوجة يعكس نسبة من الأذى والألم، ويترك لديها معاناة جسدية أو نفسية أو خلقية مهما تدنت نسبتها، ويتسم عنف الزوج بدرجات متفاوتة من التمييز والاضطهاد الناجمة عن علاقات القوة غير المتكافئة بين الرجل والمرأة في الأسرة؛ بل وقد ازداد انتشاره وأصبح العنف ظاهرة اجتماعية خطيرة تمس أغلب أفراد المجتمع؛ لذا تستحق الدراسة لما ينجم عنها من خسائر مادية ومعنوية عن طريق إيجاد التشريعات والقوانين لمواجهتها.

أهمية الدراسة:

والعنف الأسري هو الإيذاء الجسدي والنفسي الذي يمارسه الزوج ضد الزوجة، وهو الأكثر شيوعا وانتشارا في أغلب الأسر والمجتمعات، وفي هذا الصدد فقد قمت بدراسة هذا الموضوع الشائك؛ نظرا لأهميته ولما يتركه من آثار سيئة في نفسية الأبناء والأسرة والمجتمع بصفة عامة وعلى نفسية الزوجة بصفة خاصة، والأسرة هي مرآة المجتمع، إذا صلحت الأسرة صلح المجتمع وإذا فسدت الأسرة فسد المجتمع؛ وذلك لأن العنف يحتوي على الكثير من التوترات والمشاحنات والمشاجرات التي تدفع الكثير من الأزواج والزوجات إلى اليأس والإحباط وينعكس ذلك على المجتمع.

عدم اللجوء إلى العنف بأي حال من الأحوال؛ لأن ذلك قد يعقد الأمور ولا يسويها، وأن تتفادى الزوجة تعطيل متطلبات التنمية الاجتماعية والاقتصادية حتى لا يتدهور الوضع الاقتصادي للمجتمع؛ لذلك أصبح من الأهمية تناول ظاهرة العنف الأسري باعتبارها أحد ملامح العنف الذي يؤثر بشكل كبير على استقرار الأسرة والمجتمع وتطوره.

أهداف الدراسة:

- تجنب استخدام أساليب التهكم وبعض العبارات الجارحة والمؤلمة التي تحمل احتقارا للآخرين بالآخرين.

- على الزوجة أن تنمي الجانب العاطفي في شخصيتها لينمو الإحساس العاطفي لديها وتستجيب أكثر لمشاعر وأحاسيس الآخرين.

- محاولة الزوجة توفير جو الرضا عن العلاقات الزوجية بشكل عام ومحاولة التواصل مع زوجها واندماجها في أي مشروع أو نشاط مشترك ليقوى الجانب العاطفي بينهما.

- على الزوجة ألا تتأثر كثيرا بالضغوطات حتى لا تضعف طاقتها واستجاباتها وتتعطل ابتكاراتها وإبداعاتها.

وضع خطة مرنة وإستراتيجية وطنية محكمة للحماية والوقاية من العنف ووضع أسس لمتابعة البرامج. يلجأ كثير من الباحثين إلى استخدام العنف الأسري الذي يحدث داخل الأسرة بين الزوجين؛ وحتى يتضح مفهوم العنف الأسري أكثر وخاصة عنف الزوج ضد الزوجة؛ ينبغي أن نطرح التساؤلات التالية هي إذن: كيف نستطيع أن نعرف العنف الأسري؟ ما هو مفهومه؟ وكيف نحدد أنواعه؟ وما هي خصائصه؟ وما هي الأسباب التي أدت إليه؟ وهل هناك خط فاصل نستطيع استخدامه من أجل التفريق بين العنف المرفوض بكل أشكاله وبين ما هو غير ذلك؟ دون أن نهمل الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة عنه والتي تترك آثارا سيئة من توتر وإحباط؛ وذلك لأن الزوجين هما عماد الأسرة، إذا صلحا صلحت الأسرة وإذا فسدا فسدت الأسرة بما فيها الأبناء؛ ولذا ينبغي على الزوجين أن يراعيا مشاعر وأحاسيس بعضهما البعض حتى لا يسقطا في ظاهرة العنف.

لمحة تاريخية لظاهرة العنف الأسري ضد الزوجة:

لمحة سريعة إلى تاريخ العنف؛ إن العنف الأسري قديم قدم المجتمعات الإنسانية، نجد أن جذوره تمتد منذ وجود الإنسان الأول فوق سطح الكرة الأرضية في العصور البدائية التي كان يمارس فيها العنف؛كان مع بدء البدايات منذ غابر الأزمان والعصور، إن أول عنف وقع وأول جريمة عرفتها البشرية على سطح الكرة الأرضية هي تلك التي وقعت بين بني آدم الأخوين قابيل وهابيل؛ منذ ذلك الزمن، وفي العصر الجاهلي، و كان يرتكب فيه الكثير من العنف وإهدار شأن المرأة، وكان الكثير منهم لا يرحب بميلاد الأنثى ولا أحد يسر بمولدها ، وكانت تصل بهم إلى حد القتل كما هو الحال في وأد البنات خوفا من العار، قال تعالى؛ " وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قتلت (9) (سورة التكوير، الآية 8، 9)، ورغم قدم هذه الظاهرة إلا أن الاهتمام بها مازال قائما؛ وذلك لأن استفحالها قد زاد في المجتمع مع أوجه الاختلاف بين الماضي والحاضر، وبحكم أن ارتباطها بالعصر الحديث تستدعي وتستحق تدخل الدراسة، وفي الآونة الأخيرة زاد زحف العنف؛ حيث أصبح مخيفا بعد تمكنه من التغلغل في وسط

فضاءات كانت حاجزا منيعا لمثل هذه الممارسات مثل المدارس والمساجد، مما أدى إلى زيادة اهتمام علماء الاجتماع والباحثين في دراسة وبحث هذه الظاهرة، ظاهرة العنف بصفة عامة والعنف الأسري بصفة خاصة وبشكل كبير؛ وذلك لانتشار هذه الظاهرة وتفشيها في المجتمع، فلم يعد العنف يقتصر على مجتمع معين دون آخر، أو على فئة دون أخري، أو على الرجال دون النساء أو على الفقراء دون الأغنياء، أو على المرضى دون الأصحاء، أو على الكبار دون الصغار.

وقد تفشت هذه الظاهرة في كل المجتمعات؛ بل قد أصبحت ظاهرة العنف ظاهرة عالمية توجد في كل المجتمعات على مستوى العالم كله، ويعود تاريخ العنف الأسري ضد المرأة إلى الأيام التي كانت فيه الأنثى توأد؛ بل قبل ذلك، وكانت المرأة تعد مجرد ملكية خاصة للزوج يتصرف فيها كما يشاء كباقي ملكياته الأخرى، وفي عام 1870م أصدرت الولايات المتحدة الأمريكية قانونا كان يمنح للزوج الحق في أن يعاقب زوجته إن أخطأت، وفي المملكة المتحدة أصدرت قانونا يبيح للزوج بإلحاق الأذى الجسدي الخفيف بزوجته حتى تقوم بأداء مهماتها بأفضل وجه،لكن هذا القانون لقد تم إلغاءه أيضا عام 1891م[1]. كما تؤكد الكثير من التقارير الطبية والإحصائيات الأمنية والقضائية على حد سواء استفحال هذه الظاهرة في بعض الأسر الجزائرية.

وفي عام 1962م نشر الطبيب سير هنري كامب وزملاؤه مقالة بعنوان العنف الموجه إلى النساء وخاصة إيذاء الزوجة؛ لقد نالت هذه الدراسة القليل من الاهتمام من جانب العلماء عامة وعلماء الاجتماع بصفة خاصة حتى عام 1970م؛ حيث لم تكن الكتابات الأولى عن هذا الموضوع صادرة عن علماء الاجتماع، كما كانت بدايات الاقتراب من الموضوع إيذاء الزوجة مرتبط بالعلاج النفسي[2].

لماذا تأخر علماء الاجتماع في دراسة ظاهرة العنف الأسري؟ لأنه يرجع إلى كونه مشكلة أسرية ونحن نعلم الحساسية الشديدة في دراسة الأمور الأسرية التي تتسم بالخصوصية، كما أن هذا السلوك العنيف من الزوج ضد الزوجة كان ينال قبولا اجتماعيا في تأديب الزوج لأفراد أسرته، ومن ناحية ثانية كان ينال إنكارا لوجود مثل هذا العنف والقسوة داخل الأسرة وضد الزوجة، التي من المفروض أن تسودها علاقات الحب والمودة، وفي هذا الصدد أشار ستراوس عام 1974م إلى أن هناك ثلاثة عوامل أساسية أدت إلى اعتبار العنف الأسري ظاهرة اجتماعية هي. أولا: حساسية مناقشة ظاهرة العنف بوجه عام والعنف الأسري بشكل خاص، والتي حدثت في أواخر عام 1960م وبداية عام 1970م نتيجة لحرب لفيتنام والقتل السياسي الذي حدث فيها. ثانيا: عودة الحركة النسوية للظهور. ثالثا: التحديات النظرية التي تعرض لها نموذج الإجماع من جانب أنصار نماذج الصراع والفعل الاجتماعي، إن العنف الأسري يتم في سرية بخلاف التمرد والشغب والعنف في الشوارع، وتجعل الضحية والجاني من

المتعذر الوصول إليهما[3].

وفي مجتمعات اليوم المتسم بالعولمة يتجاوز العنف الحدود الوطنية؛ بل أصبح ظاهرة عالمية، توجد في كل دول العالم على مستوى الكرة الأرضية، كان يقال العالم عبارة عن قرية صغيرة، أما اليوم أصبح يقال العالم بين يديك، وتعد تسمية أشكال ومظاهر من العنف ضد المرأة خطوة هامة نحو الاعتراف به ومعالجته، وقد أظهرت نتائج تقرير أصدرته الأمم المتحدة عام 2001 م أن امرأة واحدة من بين كل ثلاث نساء في العالم تتعرض للعنف والضرب أو الإكراه أو إساءة المعاملة بصورة أو بأخرى، وغالبا ما يتم هذا العنف وهذه الانتهاكات لحقوق المرأة بواسطة إنسان يعرفونه[4]، وقد يكون في اغلب الأحيان هو الزوج.

ويأخذ نسق الثقافة والقيم مكانة محورية في بناء المجتمع، باعتبار أن القيم والمعايير المشتقة منها هي التي تنظم التفاعل الاجتماعي وتضبطه، فقيم الثقافة تشكل مجموعة من التوجهات المشتركة بين البشر، ومن شأن هذه التوجهات المشتركة أن تشكل أساسا للتوقعات المتبادلة بين المجموعات البشرية في المجتمع، وبالتالي فإن للعنف دلالات داخل السياق الاجتماعي، فهو إما أن يكون نتاجا لفقدان الارتباط بالجماعة الاجتماعية التي تنظم وتوجه السلوك، أو نتيجة لفقدان الضبط الاجتماعي الصحيح، أو نتيجة للاضطرابات في أحد الأنساق الاجتماعية؛ كالنسق الاقتصادي أو السياسي، أو الأسري، أو نتيجة لسيادة اللامعيارية في المجتمع[5]

ويوضح روبرت ميرتون ما سبق ذكره بقوله؛ أن السلوك الاجتماعي سواء كان أخلاقيا أو غير أخلاقي، مشروع أو غير مشروع؛ يمكن أن يفهم فقط في ضوء القيم التي للسلوك معناه، وأن المعاني لا تكمن في طبيعة الأشياء ولكن ما تضفيها على تلك الأشياء ثقافة الجماعات المعيارية المرجعية[6].

العنـف:

ورغم المحاولات الكثيرة التي قام بها العلماء والباحثون حول تعريف مفهوم العنف الأسري أو العنف بين الأزواج؛ إلا أنه لا يزال يكتنفه الكثير من الغموض واللبس؛ وذلك لاتساع مدلوله واختلاف آراء العلماء حول تعريفه، وقد يعود هذا الغموض إلى التباين الثقافي والاجتماعي بين المجتمعات، وقد يكون هذا التباين والاختلاف في تعريف العنف حتى داخل المجتمع الواحد، ربما ما يمكن وصفه عنفا في مجتمع، قد يكون في مجتمع آخر غير ذلك.

والعنف كلمة شائعة التداول والاستعمال، ويستعملونها كثيرا في الحياة الاجتماعية، كما يؤكد الكثير من الكتاب والمهتمين بهذا المجال، وبالتالي تعددت تعريفاتها، ورغم كثرة تعريفاتها وأنواعها الفرعية ومسمياتها؛ إلا أنه يصعب علينا رسم حدود فاصلة لها، ومن الصعب فهم طبيعة هذا العنف دون ربطه بعوامل أخرى لهذا المصطلح[7].

تعريف الـعـنـف لغة:

لقد عرف العلماء مفهوم العنف بكثير من التعريفات وسوف نتناول في دراستنا هذه البعض منها:

إذا بحثنا في أصل كلمة العنف من الناحية التاريخية فسنجد أنها مشتقة من الكلمة اللاتينية Violence؛ والتي تعني إظهار العنف عفويا وغير مراقب للقوة كرد على استخدام القوة المتعمدة[8].

والعنف: هو؛ "الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق، عنف به وعليه يعنف عنفا وأعنفه وعنفه تعنيفا وهو عنيف؛ إذا لم يكن رفيقا في أمره؛ أي أخذه بعنف، بضم الشدة، وهو كل ما في الرفق من خير، ففي العنف من الشر مثله قال ابن فارس (العين والنون والفاء أمر صحيح يدل على خلاف الرفق، يقال عنف يعنف عنفا فهو عنيف إذا لم يرفق في أمره والعنف ضد المرأة"[9].

ومعنى العنف بين الزوجين؛ جاء العنف في اللغة العربية بتعريفات مختلفة؛ منها: أن "العنف عنف به أوعليه، عنفا، وعنافة: أي أخذه بشدة، وقسوة، فهو عنيف إعتنف الأمر؛ أي أخذه بعنف واتاه ولم يكن له علم به والشيء: أي كرهه، يقال إعتنف الطعام... وفلان إعتنف المجلس: تحول عنه، عنفوان الشيء: أوله، يقال هو في عنفوان شبابه؛ أي في نشاطه وحدته"[10].

وفي المعجم الوسيط؛ يعرف العنف: "العنف من الشدة والتعنيف وهو التغيير والتفريغ، وهو الوسيلة الأخيرة في يد الإنسان للإفلات من مأزق"، ويعرف العنف أيضا بأنه: "رغبة الفرد في سرقة بعض الأشياء والمشاجرة والتدمير والإيذاء ومخالفة القوانين، وتشير بعض الدراسات أن كلمة عنف تعني أن ينتهك أو يغتصب، وهو استخدام القوة استخداما غير مشروع أو استخدام الضغط، وكما عرفته الدراسات النفسية والاجتماعية العنف أيضا بأنه: سلوك يهدف إلى إلحاق الأذى والضرر الجسمي بالآخرين، ويمكن تعريفه انه كل سلوك يشتمل تعدي على الذات أو الآخرين فعل إرادي يقصد إلحاق الضرر أو التلف أو تخريب الأشياء والممتلكات أو منشآت أهلية أو حكومية"[11].

تعريف العنف اصطلاحا: لقد وردت تعريفات كثيرة ومتنوعة للعنف الأسري ضد المرأة، ومعناه؛ "ممارسة أو انتهاك أو اغتصاب، وهو استخدام القوة البدنية استخداما غير مشروع لإلحاق الأذى والإضرار بالممتلكات وبالغير، أو أنه الفعل أو المعاملة التي تحدث ضررا جسمانيا أو التدخل في الحرية الشخصية، وقد عرف على أنه كل استخدام غير مشروع للطاقة أو القوى المادية الجسمانية لشخص ما"[12].

وتعرفت منظمة الصحة العالمية العنف بأنه: "الاستعمال المتعمد للقوة المادية أو القدرة سواء بالتهديد أو الاستعمال الفعلي لها من قبل الشخص ضد نفسه أو ضد

شخص آخر أو ضد مجموعة أو مجتمع؛ بحيث يؤدي إلى حدوث أو رجحان احتمال حدوث إصابة أو موت أو إصابة نفسية أو سوء النماء أو الحرمان"[13].

والعنف هو: "السلوك أو الفعل الموجه إلى المرأة على وجه الخصوص سواء كانت زوجة أو أما أو أختا أو ابنة، ويتسم بدرجات متفاوتة من التمييز والاضطهاد والقهر والعدوان الناجم عن علاقات القوة غير المتكافئة بين الرجل والمرأة في المجتمع والأسرة على حد سواء"[14].

وعرف فيلار VIOLAR العنف يعني: "العمل بالخشونة والعنف والتدنيس والانتهاك والمخالفة"[15].

والعنف هو السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه، وهو عادة سلوك بعيد عن التحضر والتمدن، تستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثمارا صريحا بدائيا كالضرب والتقتيل للأفراد والتكسير والتدمير للممتلكات واستخدام القوة لإكراه الخصم وقهره[16].

وعرف إجلال إسماعيل العنف الأسري على أنه: "ممارسة القوة البدنية لإنزال الأذى بالأشخاص أو الممتلكات، كما أنه الفعل أو المعاملة التي تحدث ضررا جسميا أو تدخلا في الحرية الشخصية، وقد عرف على أنه كل استخدام غير مشروع للطاقة أو القوة المادية الجسمانية لشخص ما"[17].

وعرف حمدي مراد العنف الأسري بأنه: "كل فعل أو قول أو همس أو إشارة أو حركة أو صمت، يعكس أي نسبة من الأذى مهما تدنت سواء كان جسديا أم معنويا أو ماديا أو نفسيا". وفي تعريف آخر للعنف الأسري يعني: "أي تصرف أو فعل يقود إلى العنف البدني أو الإهمال أو إساءة المعاملة بأي شكل كانت، نفسية أو عاطفية أو بأي شكل آخر، ويصدر من أحد أفراد الأسرة موجها إلى شخص آخر في الأسرة"[18].

وعرف العنف أيضا بأنه: "أي عمل مقصود أو غير مقصود يرتكب بأي وسيلة في حق المرأة لكونها امرأة، ويلحق الأذى بطريقة مباشرة، ويخلف لديها معاناة نفسية أو جنسية أو جسدية من خلال الخداع أو التهديد أو الاستغلال أو التحرش أو الإكراه أو العقاب أو أي وسيلة أخرى، أو إنكار أو إهانة كرامتها الإنسانية أوسلامتها الأخلاقية أو التقليل من شخصها وعن احترامها لذاتها، أو الإنقاص من إمكاناتها الذهنية أو الجسدية"[19] أو الوجدانية أو الاجتماعية.

ويعرف أيضا العنف البدني ضد الزوجات بأنه: "أفعال مقصودة تصدر من الزوج وينتج عنها إصابة أو أذى أو تهديد ضد الزوجة مثل: الضرب والدفع والرفس والصفع والبصق أو استخدام الآلات الحادة والأجسام الصلبة أو الأسلحة في التعامل"[20].

التعريف الإجرائي

العنف الزوجي هو: نوع من العمل بالخشونة من الاضطراب والتوتر الناشئ بين الزوجين وقلة الرفق وهو سلوك سيء غير مشروع يهدف إلى إلحاق الأذى والضرر بالزوجة، والتدنيس والانتهاك والمخالفة، ويمارس فيه الزوج القوة أو الضغط المادي أو المعنوي ضد الغير عن قصد أو عن غير قصد؛ وهذا يبين لنا أن العنف قد يكون فعلا أو قولا أو همسا أو صمتا...الخ، وقد تمارس الزوجة العنف ضد زوجها؛ إلا أنه حالات استثنائية لا تشكل خطورة، إلا أن الخطورة في عنف الزوج ضد الزوجة، وهو يشمل أيضا المجالات الأسرية والمدرسية ومؤسسات العمل والقطاعات الرياضية والتعليمية...الخ.

وإن كل ما يمكن أن يقال عن هذه التعريفات، أن البعض منها اعتبر العنف كسلوك متعلم اجتماعيا، تحدده البيئة الاجتماعية، وهو مجرد سلوكات مؤذية عدوانية تعتمد على استعمال القوة المعوقة وتقلل من قوة الملاحظة الظاهرة والقهر، والبعض الآخر ركز على جانب من الجوانب الأخرى، واستخدم فيها أساليب غير ظاهرة من العنف كالرمز واللفظ والإيذاء النفسي والمعنوي، وقد يصدر العنف من أقرب المقربين أحيانا الذين يفترض أن يكونوا من الحماة لا نتوقع منهم تماما العنف.

وقد نشرت جريدة الخبر تحت عنوان "جرائم بلا حساب ومجرمون بلا عقاب" الجزائر تغرق في العنف **"أب يبيد عائلته"** وهو ما حدث للعائلة التي كانت تنام في سلام ببيتها بقرية أث عمروش ببلدية بوخليفة ببجاية لم يصحو في اليوم الموالي؛ لأنها أبيدت عن بكرة أبيها والفاعل لم يكن سوى رب العائلة حاميها حراميها، وفي التفاصيل؛ أقدم رب أسرة البالغ من العمر 44 سنة على نحر زوجته وهي تغط في نوم عميق، ليتحول بعدها إلى الطفلة ليقوم بذبحها بنفس السكين، وتوجه إلى المهد الخشبي؛ حيث يرقد الرضيع ليقوم بذبحه بكل برودة دم و بحث عن الطفل الثالث ولكنه لم يجده في غرفته، وأرجع المقربون من الجاني دوافع الجريمة إلى معانات الأب من مشاكل نفسية.

وفي حادثة مماثلة نشرت في جريدة الخبر تحت عنوان **"أستاذ يقتل زوجته وينكل بجثتها بعد أن رش جسدها بروح الملح"**، الزوج البالغ من العمر 40سنة وأب لثلاثة أطفال، راودته فكرة قتل شريكة حياته البالغة من العمر 33سنة بسبب خلافات دائمة وشكوك تتعلق بالشرف أفقدته صوابه. تضاف هذه الجريمة إلى سلسلة من الجرائم المشابهة التي أقدم فيها الأزواج للتخلص من زوجاتهم، وعلى غرار جريمة أخرى؛ حيث أقدم زوج في 33سنة من العمر على قتل زوجته الحامل البالغة من العمر 30 سنة بواسطة صخرة كبيرة وجهها إلى رأسها أردتها قتيلة، وهناك الكثير من هذه الجرائم البشعة التي ترتكب تقريبا يوميا.

وقد أرجع الكثير من علماء النفس والاجتماع والتربية سبب اضطرابات شخصية

الطفل إلى الأسرة بالدرجة الأولى، وإلى المعاملة التي يتلقاها الطفل من والديه، وإلى نوع النمط الثقافي السائد في أسرته و مجتمعه؛ فالطفل الذي ينشأ في جو أسري مكهرب ملئ بالخلافات والمشاجرات والمشاحنات الدائمة بين الزوجين، ويرى ما يحيط بهذا الجو من ظلم وألم واستبداد.و كما وجدت الدراسات التي أجراها "ماكوين" McKeon، إن صفتي "السيطرة والعدوانية" من بين الصفات المميزة لوالدي حالات "الشيزوفرينيا" الذين تتراوح أعمارهم ما بين (12-32) سنة[21]، وبالتالي فإن عنف الأطفال هو نتاج عنف الآباء.

وكما أثبتت نتائج بعض الدراسات بأن الطفل الذي يتعرض للعنف أثناء المراحل الأولى من تنشئته يكون أكثر ميلا نحو ممارسة العنف في كبره من ذلك الطفل الذي لم يتعرض في تنشئته للعنف في فترة طفولته.

أنواع العنف:

1- العنف الجسدي: وهو استخدام القوة الجسدية بشكل معتمد اتجاه الآخرين من أجل إيذائهم وإلحاق أضرار جسمية لهم، وذلك كوسيلة عقاب غير شرعية، مما يؤدي إلى آلام وأوجاع ومعاناة نفسية جراء تلك الأضرار، كما يعرض الصحة للأخطار ومن أمثلة ذلك: استخدام العنف الجسدي؛ الضرب، الركل، شد الشعر، العض لإيذاء الآخرين[22].

2- العنف النفسي: قد يتم من خلال عمل أو الامتناع عن القيام بعمل، وهذا وفق مقاييس مجتمعية، وقد تحدث تلك الأفعال على يد شخص أو مجموعة من الأشخاص الذين يمتلكون القوة والسيطرة، مما يؤثر على وظائفه السلوكية، الوجدانية، الذهنية، الجسدية، كما يظم هذا التعريف أفعال عنف نفسي مثل: رفض وعدم قبول للفرد، الإهانة، عزلة، استغلال، برود عاطفي، صراخ، سلوكات تلاعبية و غير واضحة، الكذب، اللامبالاة وعدم اكتراث، كما أن فرض الآراء على الآخرين[23].

العنف اللفظي: يكون بالشتم، التهديد، التوبيخ، إهانة الآخرين.

3- العنف الرمزي (غير اللفظي): يكون بتحقير الآخرين، الاستهزاء والسخرية منهم، الحرمان المادي، العاطفي، النفسي والاجتماعي، الإهمال، التفرقة، التمييز وعدم المساواة.

4- الإهمال: ويعرف على أنه عدم تلبية الرغبات الأساسية لفترة مستمرة من الزمن، ويصنف إلى فئتين: إهمال مقصود وغير مقصود[24].

5- العنف التواصلي: هو التأثيرات السلبية التي يتعرض لها التلميذ أثناء الفصل التعليمي عند تواصله داخل الفصل مع المعلمين داخل المدرسة التعليمية والغالب على طرق التدريس التقليدية في العالم، غياب الحوار بين العناصر المكونة للمنظومة التعليمية فيصبح اللاحوار عنفا تواصليا بمعنى أن التلميذ لا يستطيع التعبير عن أفكاره وأطروحاته وتصوراته.

العنف ضد الزوجة: وهي الفرد الأكثر تعرضا للعنف داخل الأسرة، كما أن هناك بعض الحالات التي تمارس فيها المرأة العنف ضد الرجل؛ إلا أنها في الواقع حالات استثنائية لا تشكل مشكلة عامة؛ لذا تبقى المشكلة في جوهرها هي علاقة عنف الزوج ضد الزوجة، فالزوجة هي الكائن الأضعف في سلسلة بناء علاقات القوة داخل النسق الأسري، "وهي انعكاس لبناء القوة القائم في المجتمع بشكل عام؛ ذلك البناء الذي يدعم ويعزز علاقات الهيمنة والسيطرة والقهر الاجتماعي والاستقلال الاقتصادي في المجتمع وفي الأسرة من خلال نسق القيم السائد في المجتمع"[25].

ويرى بعض خبراء العلوم الاجتماعية؛ أن منظومة العلاقات القرابية والعلاقات الأسرية أول ما ينشأ فيها الفرد ويتعامل مع أعضائها، وأن الأسرة هي الخلية الاجتماعية وهي الحضن الاجتماعي الأول الذي يتلقف الطفل عند ولادته وهو عبارة عن مجرد كتلة بيولوجية، وتغرس الأسرة فيه البذور الأولى للشخصية؛ بل وتنمو فيه الطبيعة الإنسانية، وقد توفر الاكتفاء والرضا وتلبي الكثير من الاحتياجات، غير أنها في نفس الوقت قد تكون مصدرا لكثير من التوتر في العلاقات الأسرية وخاصة العلاقات بين الزوجين، التي قد تدفع إلى اليأس والقنوط والإحباط، وبالتالي فإن العنف الأسري في أغلب المجتمعات يمكن تعريفه بأنه: الإيذاء الجسدي والنفسي والمعنوي الذي يمارسه الزوج ضد زوجته وهو الأكثر شيوعا وانتشارا في المجتمع، وله قوة أثره في تكوين الذات والنفس للزوجة؛ إذ أنها قوة معوقة تقلل من الملاحظة، كما أنها تقلل من قدرة التمييز، وتعيق الفهم وتؤدي إلى قصر النظر والتبلد، والعنف أنواع هي:

أنواع العنف على أساس الهدف:

- عنف دفاعي: يهدف إلى الدفاع عن النفس والصراع من أجل البقاء.
- عنف هجومي: يهدف إلى إلحاق الأذى والضرر بالغير.

أنواع العنف على أساس الأسلوب:

- العنف المادي: ويكون عن طريق الضرب، الجرح والقتل.
- العنف اللفظي: ويكون بالشتم والاستهجان، التهديد، الترهيب والتخويف...الخ.
- العنف الرمزي: ويكون بالكتابة على الجدران أو ما يمكن أن يحل محلها مكانا للتعبير عما بداخل الشخص العنيف[26].

وقد أصبحت الأسر في المجتمعات الغربية من أكثر الأماكن شيوعا وانتشارا للعنف، ومن أكثر الأماكن خطرا على حياة الأفراد وخاصة المرأة، ففي بريطانيا على سبيل المثال؛ فإن واحدة من كل أربعة جرائم قتل يرتكبها أحد أفراد الأسرة ضد آخر. وترى بعض الدراسات أن النساء قلما يلجأن إلى العنف في تعاملهن مع أزواجهن وبمعدل لا يزيد عن نسبة 5% في أغلب الحالات، والأسباب بطبيعة الحال تعود إلى

سيطرة الرجال على النساء، وقد أخذ بعض المعلقين والمراقبين بذلك[27].

صور من العنف الأسري:

1- **الإيذاء البدني:** وهو أكبر صور أعمال العنف خطورة وخاصة إذا صاحبته جروح أو كسور تصيب المعتدى عليه، وقد يأخذ الإيذاء البدني شكل الاعتداء بالضرب دون إحداث أضرار جسمية كالصفع على الوجه والركل بالقدم والحرمان من الطعام...الخ.

2- **الاعتداء الجنسي:** و هذه الصورة من أعمال العنف تتمثل في إكراه المعتدى عليه سواء كان ذكرا أم أنثى على ممارسة الجنس أو القيام بأعمال جنسية في نطاق الأسرة، وغالبا ما يمارس الاعتداء والجنس تحت تهديد المعتدى عليه بإيذائه إذا لم يرضخ لرغبات المعتدى.

3- **الإيذاء المعنوي:** في هذه الحالة يوجه المعتدي إلى المعتدى عليه ألفاظ بذيئة تحط من قدر أو تنال من شرفه أو من شرف أهله كسب الزوج لزوجته وأهلها أو العكس، وقد يتخذ الإيذاء المعنوي صورة من صور الإكراه حيث يهدد الشخص شخصا آخر يكشف سره أو بإيذاء أحد يحبه أو بإتلاف ممتلكات يعتز بحيازتها.

4- **سوء المعاملة الاجتماعية:** ويكون في صورة فرض العزلة الاجتماعية على أحد أفراد الأسرة، مثل حظر خروج الزوجة من المنزل لزيارة أهلها أو صديقاتها أو تقييد.

5- **سوء المعاملة الاقتصادية:** وهنا يتخذ العنف الأسري شكلا ماديا فيحرم الزوج زوجته من مصروف المنزل لزيارة أهلها أو صديقاتها[28].

6- والعنف الزوجي إما أن يكون فعل أو قول أو حركة أو ألامبالاة أو صمت، ويقاس بواسطة المعايير الاجتماعية عند الخبراء وعلماء النفس والاجتماع والتربية، يلحق أذى وضررا جسميا ومعنويا ونفسيا بالزوجة من نفس أفراد الأسرة الواحدة مثل:

- الهجوم أللفضي من الآخرين باستخدام كلمات جارحة ومؤلمة، تحمل احتقار الآخرين والتهكم عليهم.
- العزلة ومحاولة عزل أحد أفراد الأسرة عن بيئته الاجتماعية والأهل والأقارب والأصدقاء.
- التهديد والوعيد بإنزال الأذى تجاه الزوجة واستخدام العنف بكل الأشكال أو تهديدها بحرمانها من أولادها.
- تهديد الزوجة بالهجر والطرد من المنزل والطلاق[29].
- نظرية دورة العنف تؤكد أن التساهل مع العنف يوسع دائرته عن طريق تقليد الأبناء لآبائهم، وبهذا يتوارث المجتمع العنف جيلا بعد جيل[30].
- العنف ضد الزوجة يؤدي إلى التفكك الأسري وإلى تشتت أفراد الأسرة الواحدة وخاصة الأبناء هم المتضررون الأكثر؛ حيث يتحملون وزر العنف وآثاره المدمرة لنفسيتهم بدون أي ذنب ارتكبوه.

وعليه فإن العنف عبارة عن نمط من السلوك الذي يتسم بالعدوانية الظاهرة أو المقنعة، يستخدمه شخص ضد آخر كي يجبره على فعل ما يريده، فهو إذن ضغط جسدي ومعنوي أو جنسي[31].

عندما يجري الحديث حول العنف الأسري؛ فإن ذهن عدد كبير من الناس يتبادر إلى أفعال العنف الذي تتعرض له النساء خصوصا الزوجات من طرف أزواجهن؛ وكذلك العنف الذي يتعرض له الأطفال؛ ولكن أفعال وأقوال العنف يمكن أن توجه نحو أي فرد في الأسرة، الذين يعيشون تحت سقف واحد سواء ذكرا كان أو أنثى، صغيرا أو كبيرا[32].

ومن أهم مصادر القوة التي يمتلكها الزوج تكمن في الشرع والقانون؛ حيث يكتسب القوة من حقوقه التي كفلها له الشرع والقانون مثل السلطة التي يكتسبا الزوج عند الزواج، فتصبح القوامة والعصمة بيد الزوج، مما يؤدي ببعض الأزواج إلى إساءة استغلاله للسيطرة على الزوجة. الشخصية القيادية تؤثر في الآخرين و جعلهم يتبعون أوامرهم حتى وإن كانوا غير مقتنعين بذلك[33].

والعنف ضد المرأة؛ وهي جملة تستخدم للإشارة عن أي شكل من أشكال العنف الذي يمارس اتجاه المرأة بشكل متعمد أو غير متعمد، وقد تم تعريف العنف ضد النساء من قبل جمعية الأمم المتحدة بأنها؛ اعتداء وممارسة عنيفة، ومن الممكن أن يكون الإيذاء جسدي أو نفسي مثل التهديد، الحرمان ومنع الحريات، وهذا النوع من العنف قد يتم ارتكابه من قبل الجنسين ومن داخل الأسرة أو الدولة، وهناك العديد من المجتمعات والمنظمات حول العالم التي تسعى جاهدة للحد ولمنع العنف ضد المرأة[34].

ويختلف العنف ضد المرأة من مجتمع إلى آخر ومن شكل إلى آخر، والعنف ضد المرأة قد يتخذ أشكالا متعددة ومختلفة منها؛ العنف الجسدي الذي يتم بالضرب والجرح والقتل، أو باستخدام وسائل مادية ملموسة، ويترك آثارا على سلامة جسم المعتدى عليها أو المعنوية لشخص ما، على شكل خدوش في الرأس والوجه والرقبة؛ بل في كل أنحاء الجسم أو الإصابة بكسر العظام أو إلتواءات على مستوى المفاصل، وهذا النوع من العنف يعتبر من أكثر أنواع العنف انتشارا في مجتمعنا الجزائري؛ وذلك لأن الزوج هنا لا يقبل لا الحوار ولا المناقشة مع الزوجة؛ وذلك لأنها (المخلوق الضعيف)؛ بل يلجأ إلى العنف مباشرة وهو الأسهل بالنسبة إليه بدون اللجوء إلى الحوار والمناقشة والتفاهم.

وقد حاولنا معرفة أهم مصادر قوة الزوج داخل الأسرة وكيف يستغلها في التأثير على الزوجة، أوضحوا أن أهم مصادر القوة تكمن فيما يلي:

1- **الشرع والقانون؛** حيث يكتسب الفرد قوته من حقوقه التي كفلها له الشرع والقانون مثل السلطة التي يكتسبها الزوج عند الزواج، فتصبح القوامة والعصمة بيده، مما يؤدي ببعض الرجال إلى إساءة استغلالها للسيطرة على المرأة.

2- **الحب؛** يمكن أن يكون الحب مصدرا للقوة، فالمحب عادة ما يفعل كل ما في وسعه لإرضاء محبوبه ويدفعه للتنازل عن أشياء كثيرة في سبيله.

3- **الشخصية القيادية؛** يتمتع بعض الأشخاص بشخصية قيادية تؤهلهم للتأثير في الآخرين وجعلهم يتبعون أوامرهم حتى وإن كانوا غير مقتنعين بذلك[35].

4- **المركز الاجتماعي؛ م**ن مصادر قوة الزوج مكانته الاجتماعية، فيتمتع بعض الأفراد بمكانة اجتماعية عالية تجعلهم في مراكز احترام وتقدير للآخرين، وقد يكون هذا المركز وراثيا ينتقل من فرد لآخر في العائلة أو القبيلة، أو مكتسبا نتيجة تولي الفرد منصبا اجتماعيا أو سياسيا أو اقتصاديا مرموقا.

5- **الثروة والمال؛** فالثروة تساعد الفرد على إشباع حاجاته المادية، وتساعده كذلك على امتلاك التكنولوجيا الحديثة، كما تساعده على توسيع دائرة معارفه وعلاقاته الاجتماعية، مما يؤدي إلى تحسين وضعه الاجتماعي وبالتالي امتلاكه القوة.

6- **المعرفة والعلم؛** يعتبر العلم والمعرفة من المصادر المهمة لقوة الفرد في المجتمع، والعلم يشمل كافة العلوم الدينية والدنيوية، وأصبح للعالم مكانة اجتماعية مميزة، وأصبح موضوع احترام وتقدير للآخرين، لأن العلم والمعرفة مصدر من مصادر الثروة؛ حيث استطاعت الدول المتقدمة أن تهيمن على العالم بامتلاكها ثروة التكنولوجيا الحديثة وتقنياتها.

7- **العلاقات الاجتماعية؛** كلما كانت دائرة علاقات الفرد الاجتماعية واسعة ومتنوعة كلما استطاع إنجاز الكثير من المعلومات في أي مكان وأي زمان؛ حيث يلجأ الفرد إلى تكوين علاقات جيدة مع أكبر عدد ممكن من الأفراد في جميع القطاعات، وفي نفس الوقت يحرص على خدمة الآخرين لتقوية هذه العلاقات ولروابط[36].

والعنف البدني؛ وهو أي فعل ينتج عنه إلحاق الضرر أو إصابة أو أذى بدني بشكل متعمد لأحد أفراد الأسرة من قبل فرد آخر، وهو ذو طبيعة غير متكافئة بين الزوجين وما يجسده من واقع فعلي للشقاق والتوتر، وهو يمارس في الغالب من طرف واحد وهو الزوج، ومن المستبعد أن تمارس بعض الزوجات أعمال العنف ضد أزواجهن، وقد تمارس الزوجة أيضا العنف ضد زوجها ويتضح من خلال هذا التعريف التأكيد على ركيزتين لابد من توفرهما:

- أن يكون الفعل والأذى مقصودا؛ وعلى ذلك فإن بعض الأفعال قد ينتج عنها إلحاق الأذى بالآخرين؛ إلا أنه فعل ليس عن طريق القصد.

- لابد من حدوث الأذى بالفعل؛ أو إصابة بدنية وذلك مثل الضرب والجرح والدفع وشد الشعر والقذف بأي أداة أو جسم صلب والحبس في مكان ضيق، وهذا على سبيل المثال لا الحصر؛ وبهذا فإن بعض الأفعال التي لا ينتج عنها أذى أو إصابة مادية أو بدنية، قد لا تدخل تحت مسمى العنف البدني، ويتم إدراجها تحت أنواع أخرى من أنواع العنف الأسري[37].

والعنف البدني باستخدام أساليب الاعتداء والعقاب البدني؛ يعد من أكثر أنواع العنف الممارس على المرأة من التسلط والضرب والتهديد والازدراء والحرق والاغتصاب والرفض والإهمال والمشاجرة أو التقليل من شأنها ومن خبرتها في الحياة، وعدم الأخذ برأيها وقراراتها، لكثرة ما تتعرض له الزوجة من إساءة المعاملة والانتقاد من طرف الآخرين المحيطين بها وخاصة من طرف زوجها؛ وذلك لأن الزوج له دائما لغة الأوامر والنواهي والتوجيه، وتقييد حركتها وفرض العزلة عليها، وعدم السماح لها بالخروج من المنزل لقضاء بعض أغراضها وحاجاتها وزيارة أهلها أو الاتصال بهم وبأقاربها وصديقاتها.

وقد يتدخل الزوج في شئون زوجته وفي علاقاتها واختياراتها، أو التدخل في مظهرها وفي نوع الملابس التي ترتاديها، أو التدخل في نوع تسريحة شعرها، أو حرمانها من إبداء رأيها في بعض شئون أسرتها، أو إصدارها لأي قرار داخل أسرتها بخصوص أبنائها وزوجها، ويدخل فيه أيضا العنف التعليمي كحرمانها من فرص التعليم أو يفرض عليها نوع التخصص الذي لا تميل إليه ولا ترغب فيه، أو إجبارها على ترك الدراسة أو منعها من العمل بعد تخرجها[38] أو فرض الزواج عليها أو فرض الأصدقاء، أو منعها من الزواج بمن ترغب فيه، ومن خلال هذه المعاملة يضعف لدى المرأة الاستجابة لأحاسيس الآخرين، وتتعود بعدم الاكتراث بمشاعر وأحاسيس وآلام الآخرين، وبالتالي يضعف عندها الجانب العاطفي لديها.

والعنف المعنوي؛ ويصطلح عليه أيضا بالعنف الفكري، وهو عنف يمارس من خلاله سلطة على الأفكار والمشاعر، وتكبح فيه المبادرات الذهنية واختيارات الأفراد والجماعات وتبعية الآخر. والعنف النفسي يؤثر على سلامة النمو العقلي، ويؤدي إلى فقدان الأمان البدني والنفسي؛ وتكون شخصيات ذات تقدير ضعيف للذات؛ أي فعل مؤذي للمرأة ولعواطفها النفسية وكرامتها دون أن تكون له آثار جسدية مادية، ولكن له آثار نفسية عميقة لا تزول بزوال الجروح والخدوش، تؤثر في نفسية وشخصية المرأة تأثيرا بالغا؛ حيث يترك جروحا عميقة في الناحية النفسية والاجتماعية لا تندمل ولا تشفى، وبالتالي تنقلب حياة الزوجة رأسا على عقب، ويشمل أيضا العنف اللفظي وغير اللفظي، الذي يهدف للحط من كرامة المرأة وسمعتها، وإشعارها بأنها إنسانة دونية ومنحطة وسيئة للغاية، وتلقيبها أو مناداتها بأبشع الأسماء، أو مناداتها بما تكره من الأسماء، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: "ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب" (سورة الحجرات، الآية 11) أو شتمها أو حرمانها من التعبيرات العاطفية أو مراقبتها

والشك في سلوكها وسوء الظن في أخلاقها، أو تهديدها بما يزعزع ثقتها بنفسها ويجعلها تشعر وكأنها كائن غير مرغوب فيه[39].

وقد يكون العنف لفظيا وهو الذي يتضمن السب واللعان والاستهزاء والتهكم والتشهير والسخرية والإشاعات المغرضة، والتي تؤثر بدورها على الظروف الصحية للمرأة؛ وذلك لأن شخصية المرأة وحدة واحدة متكاملة الجوانب جسميا وعقليا وروحيا ونفسيا. إن الأسرة المضطربة التي يسودها جو من الصراخ والضجر تؤثر تأثيرا سيئا على الناحية النفسية للزوجة؛ وأي مشاجرة بين الزوج والزوجة تؤثر في انفعالاتهما وبالجو الاجتماعي السائد في الأسرة. وإذا كان الزوج منبعا للاحباطات ومصدر القلق والاضطراب المستمر داخل الأسرة، فإن ذلك التوتر والاضطراب يعكس على جو الأسرة وعلى الزوجة بشكل خاص، والأسرة المضطربة لا تصلح أن تكون بيئة للتنشئة الاجتماعية.

ورغم أن الكلمات لا تترك علامات أو ندوبا أو حروقا أو كدمات واضحة على الوجه أو في الجسم؛ إلا أنها تترك ما هم أكثر من ذلك تأثيرا في شخصية المرأة، كما يقول المثل الشعبي: (الجرح يبرى وكلام العيب ما يبراش) لما يتركه من آثارا سيئة بالغة في التأثير يفوق جميع هذه الآثار من خدوش وجروح التي تلتئم وتشفى مع مرور الزمن، ويصل إلى القلوب والعقول، ويدمر العواطف، ويقتل الحب ويسيئوا نظرة الرد على نفسه واعتماده على ذاته، وتؤثر على شخصية الفرد وتفاعله داخل الأسرة، ويعد هذا النوع من سوء المعاملة الأسرية أمرا بالغ التعقيد والغموض، ويحيط به الكثير من العوامل التي تؤثر فيه بشكل واضح، وغالبا ما يصاحبه عدم وعي وإدراك بحدوثه، خاصة عندما يكون حدوثه أمرا شائعا ومتكررا داخل الأسرة، فيصعب على أفراد الأسرة الذين يقعون ضحايا لهذا النوع من سوء المعاملة وعرفته والاعتراف به[40]، والمرأة المعنفة تفقد ثقتها بنفسها واحترامها و تفقد روح المبادرة لأنها تعيش حالة من الإحباط والكآبة وهم لا ينظرون إلى العنف النفسي على أنه تصرف غير أخلاقي؛ بل وهو جزء من أسلوب حياة الأسرة.

وكذلك يشمل العنف البدني والنفسي إساءة معاملة المرأة، وقد لا يكون العنف بالضرب فقط؛ بل قد يشمل العنف ضد المرأة الإهانة والطرد من المنزل والتشرد أو الانفصال ظلما وبهتانا، أو الطلاق زيادة في التفكك الأسري، وحرمان الزوجة من رؤية أبنائها عند طلاقها زيادة في تعذيبها وآلامها، وقد يكون العنف بالضرب الجسدي حتى يصل أحيانا إلى حد إجهاض الحمل إن كانت الزوجة حاملا، وقد يترك على جسمها بعض آثار الجروح والخدوش أو بعض العاهات الجسمية قد تكون مؤقتة أو مستديمة، أو حرمان الزوجة من المصروف وإهمالها، مما قد يؤدي بها إلى المرض و الكآبة الدائمة التي قد تدفعها إلى الإدمان على المخدرات أو أي نوع آخر من الممنوعات.

أما الذكاء العاطفي؛ وهو نقيض العنف النفسي ويعرف بأنه؛ مصطلح إدارة

المشاعر واستثارتها، أو هي فن نغرس فيه حب التعاطف وفهم المشاعر وإدارتها، والتودد والتراحم بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الزوج وزوجته؟ وهو حب المهارات الاجتماعية، وإظهار المشاعر العاطفية وعدم كبتها لمن يحب، فهي فترة ذهبية للاستمتاع بها والإنصات لمن نحب بكل اهتمام، يولد الإنسان وهو له غباء عاطفي، وعندما يكبر وتنضج هذه المشاعر يتعامل معها بالشدة والقسوة العنيفة.

والعنف العاطفي ضد الزوجة؛ أي فعل مؤذي لعواطف الزوجة دون أن تترك آثارا جسدية، التي تهدف إلى الحط من قيمة الزوجة وإشعارها بأنها سيئة للغاية، والذكاء العاطفي هو مدى إحساس الزوج بمشاعر زوجته وآلامها وعواطفها، وهذا ما ينطبق على بعض الحالات الموجودة في مجتمعنا وفي أسرنا، وهو عدم وجود بعض محاولات من طرف الزوج لفهم أحاسيس ومشاعر وعواطف زوجته، وهل يستطيع كل واحد منهما تقدير ظروف الطرف الآخر بالرضا؟ وهذه الثقافة ويا للأسف مفقودة في المجتمعات العربية والشرقية والتي دعا الإسلام لها؛ وذلك منذ المئات من السنين، والذكاء العاطفي في المجتمعات العربية موجود فقط بين الرجال؛ بل يوجد بين الرجل وأصدقائه، كل اهتمام الرجل بالأصدقاء، يهتم الرجل بأصدقائه أكثر مما يهتم بأفراد أسرته وبالأخص زوجته، تجد بينهم مودة ورحمة، يفرح لوجودهم يضحك ويمرح وينكت، ولكن بمجرد خروج أصدقائه من المنزل يتحول سلوكه عن زوجته 180 درجة.

إذ نجد الرجل الشرقي كريم بماله، كريم ولطيف بمشاعره مع أصدقائه وأهله؛ ولكنه فقير وبخيل بمشاعره وعواطفه وخاصة مع زوجته؛ بل ويتحول من شخص لطيف مع أصدقائه إلى شخص قاسي مع زوجته، لا يحترم مشاعر وأحاسيس زوجته، يجعلها وكأنها سقط متاع أو مجرد قطعة أثاث أو كآلة ميكانيكية في منزله، يحافظ عليها كما يحافظ على بقية أثاث وممتلكاته، يولد الفرد وهو له غباء عاطفي، ويتوارث الأولاد من أسرهم هذه النظرة الدونية اتجاه أمهاتهم، من خلال معاملة الأم لأبنائها، وتفضيلها للذكر على الأنثى مما يؤدي إلى أن يسيء تعامل زوجته وابنته ومع كل النساء؛ وهذا خلاف لما جاء به ديننا الحنيف الذي يقول فيه الله تعالى؛ (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (سورة الروم، الآية 21)، وهي الآن تستعمل على عكس ما جاء في القرآن الكريم، وكأن الله تعالى أمر الرجل ألا يتعامل مع زوجته بالحسنى.

الذكاء العاطفي هو مدى محاولة فهم الزوج لأحاسيس ومشاعر زوجته المكبوتة، ومعناه بالضبط هو محاولة من طرف الزوج فهم أحاسيس ومشاعر زوجته، والتي تعتبر غامضة عليه بالنسبة إليه، لماذا؟ لأن الزوج لا يهتم ولا يهمه فهم مشاعر وأحاسيس زوجته، إن الزوج يحاول بكل ما يملك إرضاء زوجته، والشيء الوحيد الذي لا يحاول فهمه هو مشاعر وعواطف زوجته، الرجل لم يصل بعد إلى أدنى مستوى لفهم أحاسيس ومشاعر زوجته؛ بل ونجده يبخل بمشاعره وعواطفه، وهذا ما

يسمى بالبخل العاطفي، أو بالجفاء العاطفي أو العمى العاطفي، أو سميه كما شئت فهو له معنى واحد؛ و هو أن الزوج لا يهمه فهم زوجته ولا فهم مشاعرها وأحاسيسها وعواطفها؛ وذلك لأن فهم الشيء يعتبر اعتراف به، والفهم للمشكلة هو حل لها؛ وإذا عرف السبب بطل العجب.

إن مجرد محاولة فهم الزوج لزوجته هو إرضاؤها وإسعادها، وهو سعادة الأسرة بكاملها، وبالتالي فهو محاولة لحل المشكل القائم بينهما؛ لأن محاولة فهم الزوج لزوجته ينظر إليه من ضمن الممنوعات أو المحذورات التي لا يجوز التقرب إليها، ولا يستطيع البوح بها لأي طرف، وأنه إنسان قوي الإرادة لا ينبغي له أن يتنازل عن قوته وكرامته؛ أي ليست له عواطف ولا يخضع لها، حتى يثبت لنفسه ولغيره بأنه إنسان قوي، ومن يخضع للعواطف قد يكون إنسان ضعيف، وهذا فهم وتحليل الضعفاء؛ وذلك لأن قوة شخصية الرجل لا تقاس بشدة الجفاء العاطفي وعدم التنازل عن كرامته؛ بل إن قوة شخصية الرجل وكرامته، تظهر في قوة عواطفه التي تظهر في المواقف التي تحتاج إلى عواطف وليس العكس.

وفي مثل هذا المقام قال رسول الله صلعم استوصوا بالنساء خيرا، وقال الرسول أيضا "من أكرم النساء فهو كريم ومن أهانهن فهو لئيم"، وقد جاء في قوله تعالى: " الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا" (سورة النساء، الآية 34).

ورغم قدم هذه الظاهرة إلا أن مازال الاهتمام بها بوصفها ظاهرة نفسية اجتماعية، تستدعي تدخل الدراسة عن طريق إيجاد التشريعات والقوانين للحد من استفحالها في المجتمع.

والعنف ضد المرأة يتخذ أبعادا مختلفة على سلامتها النفسية واستقرارها العاطفي والأسري ويؤثر على فعاليتها في الأسرة والمجتمع، وعلى سلامة أطفالها وحسن رعايتها لهم. ولقد أكدت مصالح حفظ الأمن الوطني بمختلف أشكاله تسجيل أزيد من 7300 حالة من العنف الممارس ضد المرأة خلال الـ9 الأولى من سنة 2015، من بينها 5350 حالة عنف جسدي، تم خلال الــ9 أشهر الأولى من السنة الجارية تم تسجيل 7375 حالة عنف الممارس ضد المرأة، من بينها 5350 حالة عنف جسدي، و 1706 حالة سوء معاملة.

ومن بين العدد الإجمالي لحالات العنف ضد المرأة، أيضا تم تسجيل 22 حالة قتل عمدي، و4 حالات خاصة بالضرب المؤدي إلى الوفاة. والعنف يشمل مختلف الفئات العمرية للنساء وخاصة اللواتي يتراوح أعمارهن ما بين 26-35 سنة هن الفئة الأكثر

تعرضا للعنف خلال نفس الفترة بعدد 2216 حالة، وشملت حالات العنف النساء المطلقات والمتزوجات وهن الأكثر تعرضا للعنف بنسبة 4136 حالة، في أن نسبة 99% من النساء المعنفات يتابعن الأشخاص المعتدين عليهن قضائيا ، كما تم تسجيل مجموع 7659 شخصا معتد في مقدمتهم الغرباء عن الضحية ثم يليها الزوج (المجلس الوطني لشؤون المرأة).

وتتنوع آثار ونتائج العنف ضد المرأة ومن أهم الآثار النفسية والاجتماعية التي يتركها العنف الأسري على الحياة الزوجية تتمثل فيما يلي:

1- **السلبية؛** ضحايا العنف من الزوجات يتصفن بالسلبية والاستسلام وعدم محاولة تغيير الواقع، ويمتد هذا الشعور ليكون ملازما لشخصية الزوجة، ويترك آثارا بالغة على نموها النفسي والاجتماعي وعلى كل تصرفاتها.

2- **الآثار المباشرة؛** يتسبب العنف ضد الزوجات في حدوث إصابات قد تكون مستمرة مع الزوجة، وقد تسبب لها أضرارا بالغة أو إعاقة مستديمة تمنعها من ممارسة حياتها بشكل طبيعي.

3- **إن المرأة المعنفة تفقد روح المبادرة وتفقد ثقتها بنفسها؛** فهي تعيش منعزلة عن الحياة الاجتماعية، وتعيش حالة من الإحباط والكآبة والعجز والرعب والعذاب النفسي.

4- **الحرمان العاطفي؛** إن عواطف المرأة المعنفة تجعلها تشعر بعدم الإحساس بأهميتها وعدم الاحترام من قبل الآخرين، صفة ملازمة للزوجة ضحية العنف، والتي قد تجد نفسها تعيش واقعا مؤلما يؤثر في أداء وظيفتها الأسرية والمهنية.

5- **اضطرابات الشخصية؛** من الطبيعي أن العنف وكثرة تعرض الزوجة له قد يؤدي إلى اضطرابات في شخصيتها وقد يقود إلى صعوبات نفسية وعاطفية كثيرة[41]

6- **إن من نتائج العنف ضد المرأة؛** تعطيل متطلبات التنمية الاقتصادية وتدهور الوضع الاقتصادي[42].

7- **العنف آلة هدم لطاقة المرأة؛** المعطاءة لمواهبها التي قدر لها أن لا تظهر وتنمو وتعطي ثمارها الطيبة، وحينما تقيد حرية المرأة فقد حكم على المجتمع بالتخلف.

8- **تحررت المرأة من الضغوط؛** كلما تحررت المرأة من الضغوط التي تضطهدها كلما سار المجتمع نحو التقدم برؤية واضحة[43].

9- **ليس المهم أن تعمل المرأة؛** ولكن المهم أن تريد شريطة وأن تمتلك القوة التي تنفذ إرادتها[44].

10- **ضعف الناحية العاطفية؛** بحيث تتعود المرأة المعنفة بعدم الاكتراث والاستجابة لمشاعر وآلام الآخرين كما يضعف عندها الإحساس العاطفي والوازع الديني.

11- **تكون شخصية المرأة الممارس عليها العنف؛** شخصية قلقة ومتوترة.

12- **المرأة الممارس عليها العنف؛** يؤثر في فعاليتها وعلى سلامة أطفالها، وتكون لديها شخصية سلبية عاجزة عن الحركة.

13- **يتخذ العنف الممارس على المرأة؛** أبعادا سلبية على سلامتها النفسية واستقرار العاطفي والأسري.

14- **إن العنف الأسري ضد المرأة لا يتوقف ضرره عند المرأة المعنفة فحسب؛** وإنما يمتد ضرره ليشمل كل أفراد الأسرة والمجتمع، ومن أبرز آثاره ارتفاع نسبة الطلاق وزيادة التفكك الأسري والتسرب المدرسي وانتشار المخدرات والآفات الاجتماعية...الخ.

15- **إن العنف ضد المرأة يكون أنماطا جامدة من البشر تكون ضعيفة الاستجابة؛** كما يعمل العنف على تعطيل طاقة الابتكار والإبداع عند المرأة.

16- سرعان ما تعزف المرأة المعنفة عن النشاط المستقل وتنتظر من سيقوم مقامها بهذه الأعمال التي يتوجب عليها القيام بها.

17- **إن هدف المرأة المعنفة هو درء الخطر عن ذاتها؛** بدلا من محاولة معرفة الذات وفهمها.

ينبغي أن يسود بين الزوجين علاقات التحاور والنقاش والتفهم وعدم التجريح بالكلام أو بغيره، وينبغي للزوج محاولة فهم زوجته ومعاملتها زوجته بنوع من الرفق واللين وعدم البخل بعواطفه عليها.

الخاتمة

وفي الأخير ومن خلال هذه الدراسة للعنف الأسري وآثاره على نفسية المرأة المعنفة أقول أن؛ العنف ليس إلا آلة هدم لطاقات المرأة المعطاءة ولقدراتها ولمواهبها التي قدر لها أن لا تظهر ولا تنمو ولا تعطي ثمارها، وعندما تنتزع إرادة المرأة فقد حكم عليها وعلى المجتمع بالتعاسة والتخلف وتعطيل متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وأن عدم تمكن المرأة المعنفة من الاندماج في سوق العمل يؤدي إلى تدهور الوضع الاقتصادي لها وللأسرة وكذا المجتمع؛ لأن سعادة وتقدم المجتمع نابع من سعادة وسلامة نسائه روحا وفكرا، وكلما تحررت المرأة من الضغوط النفسية المفروضة عليها، والتي يصطنعها الآخرون لاضطهادها، كلما سار المجتمع نحو تحقيق أهدافه ونحو التقدم، ويستمد المجتمع قوته من قوة نسائه باعتبار أن المرأة نصف المجتمع، وإن القدرة الفائقة للمرأة تؤثر في تقدم المحيط الاجتماعي

والاقتصادي للمجتمع...الخ، ولا يتأتى ذلك إلا برفض هذه الظاهرة الغريبة على مجتمعنا بكل أنواعها وأشكالها حتى تحفظ كرامة المرأة ويحفظ استقرار أسرتها ومجتمعها معا.

المراجع:

1. هيفاء أبو غزالة. تقرير حول العنف ضد المرأة، المجلس الوطني لشئون الأسرة، 2006، ص 16.

2. إبراهيم جابر السيد محمد. العنف الأسري وأسبابه، دار التعليم الجامعي للطباعة والنشر والتوزيع، سرت، ليبيا 2013، ص 85، 86.

3. المصدر نفسه، 2013، ص 86.

4. هيفاء أبو غزالة. المصدر السابق، 2006، ص 16.

5. علي سموك. إشكالية العنف في المجتمع الجزائري من أجل مقاربة سوسيولوجية، 2006، ص 112.

6. المصدر نفسه، 2006، 112.

7. جبرين علي الجبرين علي. العنف الأسري خلال مراحل الحياة، مؤسسة الملك خالد الخيرية، ط1، الرياض 2005، ص ص 19، 20.

8. محمد سيد فهمي. العنف الأسري، المكتب الجامعي الحديث، ط1، الإسكندرية 2012، 46.

9. عالية أحمد صالح ضيف الله. العنف ضد المرأة، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمارة جوهرة القدس، ط1، 2010، ص 21.

10. فوزي دريدي. العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية، دار المعرفة، الرياض 2007، ص 15.

11. إسماعيل محمد الزيود. العنف المجتمعي، دار الكنوز والمعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن 2012، ص ص 18، 19.

12. محمود سعيد إبراهيم الخولي. العنف في مواقف الحياة اليومية، نطاقات وتفاعلات، دار ومكتبة الإسراء، ط1، 2006، ص ص 46، 47.

13. منذر عرفات إسماعيل. تقرير الصحة والعنف، المجلس الوطني لشؤون الأسرة، الأردن 2005، ص .15

14. عالية أحمد صالح ضيف الله. المصدر السابق، 2010، 22.

15. منى يونس بحري. نازك عبد الحليم قطيشات. العنف الأسري، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط، (ب س)، ص .113

16. فوزي دريدي. المصدر السابق، 2007، ص 15.

17. محمود سعيد إبراهيم الخولي. المصدر السابق، 2006، ص ص 46، 47.

18. جبرين على الجبرين. المصدر السابق، 2005، ص 24.

19. عالية أحمد صالح ضيف الله. المصدر السابق، 2010، ص 22.

20. جبرين علي الجبرين. المصدر السابق، 2005، 47.

21. محمد علي محمد وآخرون. دراسات في علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1987، ص .232

22. سوسن شاكر مجيد. العنف والطفولة، دار صلاح للنشر والتوزيع، عمان 2008، ص 284.

23. يحي محمد نبهان. الأساليب التربوية الخاطئة و آثارها على تنشئة الأطفال، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان 2008، ص .204

24. سوسن شاكر مجيد. المصدر السابق، 2008، ص 286.

25. إبراهيم جابر السيد محمد. المصدر السابق، 2013، ص 83.

26. نصر الدين جابر. إبراهيم الطاهر. 2003، ص .305

27. أنتوني غدنز، كارين بيردسال. علم الاجتماع، تـ"فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، ط4، بيروت، لبنان 2005، 267.

28. إبراهيم جابر السيد محمد. المصدر السابق، 2013، ص ص 83، 84.

29. جبرين على الجبرين. المصدر السابق، 2005، ص .54

30. المصدر نفسه، 2005، ص 138.

31. باسمة الملا. العنف الأسري على الطفل، أنواعه، أسبابه، والاضطرابات النفسية الناتجة عنه، منشورات دار النهضة العربية، ط1، بيروت 2012، ص 15.

32. مصطفى عمر التير. العنف العائلي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ط1، الرياض 1997، ص 122.

33. سامية مصطفى الخشاب. النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، ط1، دار الدولة للاستثمارات الثقافية، مصر 2008، ص 35.

34. هيفاء أبو غزالة. المصدر السابق، (ب س)، ص 6.
35. سامية مصطفى الخشاب. المصدر السابق، 2008، ص 35.
36. المصدر نفسه، 2008، ص 36.
37. جبرين علي الجبرين. المصدر السابق، 2005، ص 45.
38. عالية أحمد صالح ضيف الله. 2010، ص .24
39. عالية أحمد صالح ضيف الله. المصدر السابق، 2010، ص 25.
40. جبرين علي الجبرين. المصدر السابق، 2005، ص 67.
41. المصدر السابق، 2005، ص ص 132- 134.
42. عالية أحمد صالح ضيف الله. المصدر نفسه، 2010، ص 27.
43. أنتوني غدنز، كارينبيردسال. المصدر نفسه 2005، ص 268.
44. زكي نجيب محمود. تجديد الفكر الغربي، دار الشروق، بيروت 1971، ص 297.